كنيسة مريم العذراء في قره قوش في ذكرى تكريسها وإفتتاحها

بهنام سليم حبابه

حلم جميل يراودني وذكرى عذبة أستعيدها مرارًا وتكرارًا كلما زرت كنيسة قره‌قوش الكبرى – كنيسة مريم العذراء – وكلما شاهدت من قريب أو بعيد تلك القبة الجميلة السامقة وبرج الأجراس الشامخ تنتشر منه إلى أرجاء البلدة أجمل الأصوات وأطرب الألحان ! وليس أحلى من ذكريات الماضي الجميلة ومناسباتها البهجة.

كان ذلك سنة 1948 في اليوم السابع من تشرين الثاني وهو الأحد الثاني من تقديس البيعة – حسب الطقس السرياني – صباحًا مشرقًا بهيجًا ويومًا مشهودًا لا تمحو ذكراه الأعوام والأجيال، كيف لا وهو يوم إفتتاح الكنيسة الكبرى وتقديسها، ذلك الصرح الكبير والمعبد العظيم المقام على إسم العذراء مريم لتمجيد الرب الإله، وقد شيّده القره‌قوشيون بإيمانهم وسواعدهم بل بدمائهم... واستغرق العمل نحو ست عشرة سنة بدءًا من 21 / آب 1932، وتخلّل ذلك سنوات الحرب العظمى الثانية، تلك الأيام الصعبة !! واليوم يوم التكريس والتقديس وقد آن أوان القطاف وحان موعد العرس والأفراح ؛ فها هو راعي الأبرشية المقدام المطران جرجس دلال حاضر بين أبنائه والفرحة الأبوية لا تسعه وقد تحقّق حلمه بقيام هذا الصرح الكبير بطول 54 مترًا طولاً و24 مترًا عرضًا، اليوم موعد الفرح الروحي ونسيان الأتعاب والصعاب !! لبست البلدةُ المؤمنة زينتها وخرجت

الجموع الغفيرة وبدأ الناسُ كبارًا وصغارًا رجالاً ونساءً بالملابس الزاهية مختلفة الألوان والأزياء في يوم عرس من أجمل الأعراس، وفي يوم عيد من أجمل الأعياد كأن الجميع ذاهبون للقاء السيد المسيح في دخوله إلى الهيكل في يوم السعانين !

ها هم القسس والشمامسة بأثوابهم الكنسية الزاهية والأخوات الراهبات والآباء الدومنيكان والقسس القادمون من الموصل والقرى المجاورة : كرمليس وبرطلة وبعشيقة، وها هم الأحبار الأجلاّء وقد حضروا منذ الصباح الباكر ملبّين دعوة أخيهم المطران جرجس دلال السعيد في يومه هذا.

إنه مشهد جميل لأولئك الأحبار بأرديتهم الجميلة المتلألئة وتيجانهم المرصّعة اللامعة سائرون بوقار داخلين إلى الكنيسة الجديدة للإحتفال مع أخيهم الكبير بهذا اليوم المشهود ! وكانوا حسب النظام : مار روفائيل ربان مطران العمادية، مار إسطيفان كجو المعاون البطريركي، مار يوحنا نيسان مطران زاخو – وهو صديق حميم للمطران دلال ورفيق دراسته في روما، ثم المطران إسطيفان دوشيّلا القاصد الرسولي إلى جانب راعي الأبرشية وراعي الإحتفال المطران جرجس دلال.

دخل الجميع ذلك الهيكل الرحب على أنغام أناشيد الإستقبال السريانية، وبدأ الإحتفال برتبة التكريس حسب الطقس السرياني بصلواته الجميلة بألحانها ومعانيها، ولا تزال أصداءُ تلك الأصوات الحماسية العالية لعشرات الشمامسة والكهنة في ذاكرتي إلى اليوم ! هذا ولما حان أوان تقديس المذابح ومسحها بالميرون المقدس، تقدم نيافة القاصد الرسولي المطران دوشيّلا بمسح المذبح الكبير على إسم العذراء مريم : والمذبح الأيمن مسحه المطران يوحنا نيسان على إسم قلب يسوع الأقدس، وقام المطران إسطيفان كجو بمسح المذبح الأيسر على إسم القديس يوسف البتول. أما جدران الكنيسة فقد مسحها بالميرون المقدس المطران روفائيل ربان من جانب والمطران دلال من الجانب الآخر.

بعد ذلك بدأ القداس الحبري الذي احتفل به راعي الأبرشية الجليل وخطب بعد تلاوة الإنجيل خطبة جميلة شكر بها المولى تعالى على نعمه والآئه، وشكر أهالي

قره‌قوش جميعًا لما بذلوه في سبيل إنجاز هذا العمل الجبّار على الرغم من الحرب والكساد وقلة الأرزاق، كما شكر الجميع حضورهم واشتراكهم في أفراح هذا اليوم السعيد.

وفي نهاية الإحتفال خرج موكب الأحبار على أصوات الترانيم والهلاهل وبدأت الجموع تتزاحم لتقديم التهاني بهذا اليوم المبارك.

هذا وجدير بالذكر أن إصلاحات عديدة وإضافات وتجديدات طرأت في الكنيسة على مر السنين، إلا أن الإصلاحات الجذرية والتجديد الذي يلفت النظر حقًا هو الذي جرى في عهد المطران مار باسيليوس جرجس القس موسى الموقر، فقد بدت الكنيسة بعد تلك التجديدات آيةً في الجمال والفخامة، وكم كان جميلاً ومحبذًا تكريس الكنيسة مجددًا بعد تلك الإصلاحات ! تلك كانت أمنية فات أوانها...

وقره‌قوش اليوم مركز قضاء هام، بلدة مرموقة تعجّ بسكانها والوافدين إليها تكثر فيها المدارس والمعاهد والمراكز الصحية وأهمها المستشفى العام، وكذلك بالأسواق والمطاعم والمخازن والدكاكين والعيادات الطبية والصيدليات... كل هذه وتلك في شوارع عديدة وعمارات جديدة وبيوت حديثة صحية.. إنها بلدة ناهضة وقد تجددت فيها كنائسها العريقة أحسن تجديد وأجمله، مع قاعات واسعة ومراكز إجتماعية وغيرها مما يُلفت النظر.. وإلى المزيد من التقدم والإزدهار...

ومن ذكرياتي عن قره‌قوش أيام زمان أن بعض أزقتها كانت تضاء بالفوانيس النفطية ليلاً فلا كهرباء ولا إسالة ماء إنما الشربُ من الآبار.. والطريق من الموصل إلى القرية غير مبلطة، علمًا أن مركز الناحية (ناحية قره‌قوش / الحمدانية) كان قد نُقل إلى برطلة فكانت قره‌قوش قريةً لا غير ! لا يتجاوز عدد سكانها ثلاثة آلاف نسمة يخدم فيها يومذاك من الآباء القس : بهنام دنحا ومنصور ددیزا (وقد توفيا في ليلة واحدة سنة 1962)، وتوما اسطيفو ويعقوب شيتو وإسحق موشي وبطرس شيتو.

وعلى ذكر القس بهنام دنحا أذكر أن بعد تركيب المذبح الكبير للكنيسة الجديدة – وبحاجة ماسّة إلى التبرعات – عرض الكاهن المذكور تقديم طغار من الحنطة يتبرع به ويقيم أول قداس على المذبح الجديد... فكان له ذلك. وسعر الطغار

يومذاك كان عشرين دينارًا وهو مبلغ بـــاهض في ذلك الزمان ؟ ! (والطغار = 260 كيلو غرامًا تقريبًا).

أما رئيس كهنة قره‌قوش فكان القس منصور ددیزا على أن مَن سعى بمثابرة واجتهاد في سبيل دعاوى قره‌قوش المعروفة في المحـــاكم فهو الكاهن الشـــجاع القس إسحق موشي، رحمه الله، بمعاونة بعض الشباب الغيورين، والقس إسحـــق هو جدّ سيادة المطران مار يوحنا بطرس موشي راعي الأبرشية. وبعد نحو شهر من تكريس البيعة احتفل المطران دلال، رحمه الله، في دير مار بـــهنام بترقـــية القس أفرام عبدال رئيس الدير إلى رتبـــة الخورأسقـــفية، وذلك في يوم عيد مار بهنام 48/12/10 وقد جاءت تلك الترقية في محـــلها ؛ فقـــد كان الخوري أفرام عاملاً غيورًا وعالمًا ورئيسًا متفانيًا في إعمار الدير العريـــــق، وقد تـــــوفاه الله يـــوم 1966/1/26 وجـــرى له مأتـــم حافل فـــي قره‌قوش ثم ووري الثرى في الدير.

هذا الشريط من الذكريات مرّ بخاطري وأنا حاضر في الإحـــتفال المقـــام في كنيسة قره‌قـــوش الكبـــرى لترقـــية ثلاثة من الآبـــاء الكهنة الأفاضل إلى رتبـــة الخورأسقفية على يد سيادة راعي الأبرشية مار يوحنا بطرس موشـــي الموقـــر، وأجمل التهاني للآباء الخورانة الأفاضل : الخوري لويس قصاب والخوري شربيل عيسو رئيس دير مار بهنام، والخوري رزق الله السمعاني راعي كنيسة بعشيقة.